الفصل الأول

الوقت كمفهوم لغوى وعلمى من المنظورين الوضعى والإسلامى

مقدمـــة:

الوقت كلمة دارجة يشيع تواردها على الألسنة بدون التأمل فيما تتضمنها تلك الكلمة من معان وأبعاد عميقة ذات دلالات متعددة. وسوف يلاحظ من العرض الموجز التالى أن الوقت يحتل مكانة أكثر أهمية ورسوخاً فى دائرة الاهتمام الإسلامى، على الرغم من أنه يحظى أيضاً باهتمام العلوم الوضعية ـ ومن بينها علم الاقتصاد ـ ولكن ذلك الاهتمام يحدث بشكل مختلف وبتوجيه مغاير.

١/١: المفهوم اللغوى للوقت Time وبعض مرادفاته ومشتقاته:

يعرف الوقت فى قواميس اللغة العربية (المعجم الوسيط كمثال، ص١٠٤٨)، على أنه «مقدار من الزمان قدّر لأمر ما». حيث يعرف الزمان بدوره (المرجع السابق، ص٤٠١) على أنه الوقت قليله وكثيره؛ أو مدة الدنيا كلها؛ أو فترات زمنية مصنفة كأن يقال ـعلى سبيل المثالـ أن السنة أربعة أزمنة: أى أقسام وفصول. ومن مشتقات كلمة الوقت شائعة الاستخدام نجد كلمة «الميقات» التي تعنى الوقت

المضروب للفعل أو الموعد الذى جعل له وقتاً (ومن الأمثلة على استخدامات تلك الكلمة مواقيت الحج لمواضع إحرامهم). وهناك أيضاً الفعل «وقت» ويعنى جعل له وقتاً يفعل فيه شئ ما (مثل قوله: وَقَّتَ اللهُ الصلاةَ: أى «حدد لها وقتاً». كما تستخدم كلمة أخرى مشتقة هى «الموقّت» وذلك للدلالة على من يُراعى الأوقات والأهِلّة. ومن أهم الكلمات المتعلقة بكلمة الوقت والتي سيتضح لنا بعد قليل مدى ما تبلغه تلك الكلمة من أهمية (تقديسية) قصوى، هى كلمة «الدهر» وهى تعنى لغوياً (المرجع السابق ص٢٩٩): مدة الحياة الدنيا كلها، أو الزمان الطويل، أو الزمان قلّ أو كثر ...الخ.

ومما سبق يمكن أن يتضح أن الوقت هو جزء من الزمان أو أنه يمثل الوحدة الأساسية لتكوينه الإجمالى، والزمان هو الدهر أو جزء من الدهر أما الدهر فهو يمثل تلك الكلمة بالغة القدسية التى كثيراً ما نسئ نعتها ولا نقدّر كنهها حق قدرها المقدس وهنا نبهنا الله عز وجل إلى خطورة الإساءة إلى تلك الكلمة من خلال حديث نبوى صحيح. فعن أبى هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر» (مختصر مسلم، ١٨١٤).

وفى القواميس الإنجليزية (مثال المورد The Concise, P971, 1177) نجد أن الوقت يمكن أن يشير للدلالة على وقت الفراغ؛ أو الوقت المناسب؛ أو زمن؛ أو عصر؛ أو فترة معينة من زمن ماض أو حاضر أو فصل أو موسم، كما يمكن أن يستخدم للدلالة على نسبة

السرعة في إنجاز حركة أو سلوك ما (مثل السير نحو الكلام)، وهو يستخدم للإشارة إلى نقطة زمنية معينة مثل الساعة أو الدقيقة .. وبالتالى فيمكن أن تشير تلك النقطة الزمنية أيضاً إلى الفيمتو ثانية التي تم اكتشافها مؤخرا كأصغر جزء من مكونات الوقت. ولقد قدم قاموس Concise مفهوماً أكثر تحديداً ومنطقية للوقت فأوضح أنه يمثل العلاقة العامة لأسلوب حياة Existence يتم اتباعه على التوالى أو التتابع أو التعاقب، كما يمكن أن يعبر عن (دورية) أو (استمرارية) الحياة التي يتم النظر إليها من خلال فواصل زمنية محددة، ويمكن أيضاً أن يدل الوقت على فترة معينة تتسم بأحداث معينة، أو بسلوكيات بشرية بينها ...الخ.

Time is the general relation of sequence or continuous or successive existence, duration or continuous or successive existence, duration or continuous existence regarded as divisible into portions or periods, a particular portion of this; a period Characterized by certain events, persons, manners, etc.

(وهناك أيضاً مزيد من التوضيحات التفصيلية الإضافية للوقت في: ص١١٦٦ The Concise).

٢/١: مفهوم الوقت فى الدراسات الاجتماعية المتخصصة:

الواقع أن الوقت ينظر إليه في الدراسات الاجتماعية التي تتناوله بشكل مختلف بعض الشيء عن طبيعته المجردة التى تمت الإشارة إليها فى

التوضيح اللغوى العام لمفهومه. فهو فى تلك الدراسات ينظر إليه كمورد أو كسلعة أو كنوع من الأموال أو كشكل من الممتلكات. ولقد ارتبطت الرؤى المختلفة لذلك العنصر المعنى وتوصيفها له بما تتصف به هذه الدراسات من طباع وبما تتسم به من اتجاهات.

ففى إحدى الدراسات التى تركزت تحليلاتها بشكل إجمالى حول إدارة الوقت (دايل تيمب، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص١١) تم اعتبار الوقت على أنه «سلعة فريدة أعطيت بالتساوى لكل فرد بغض النظر عن العمر أو الموقع» وأوضحت الدراسة المذكورة أهمية تلك السلعة الزمنية فى حياة الإنسان وبالتالى أهمية استخدامها بشكل رشيد وذلك بالإشارة إلى أن الوقت يسير دائما بسرعة محددة وثابتة، وبأن وقت الإنسان دائما غير كاف لتحقيق كل ما يرغب فيه، وبأنه مستحيل أن يخلق الإنسان وقتاً إضافياً للمتاح له، وبالتالى فعليه المحافظة على ذلك الوقت المخصص له.

وفى دراسة أخرى على درب متشابه، (ليلى عبد الجواد، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص١٠) أشير إلى أن الوقت «ينفق ولا يكتسب» وأنه كالمال إن لم ينفق فى استثمار إيجابى وفعال، فسوف يهدر ويتبدد.

كما اعتبر الوقت «سلعة نادرة فى المجتمع» وبرغم ندرتها فإن المجتمعات الصناعية الكبرى أصبحت تعانى من مشكلة «تلوث

الوقت» نتيجة لعدم استغلال ذلك الوقت بالأسلوب الصحي المثالي (علا أنور، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٤١).

وفى توصيف متقارب، تتفق آراء الاقتصاديين «شارب وهارولد فوجيل» على اعتبار الوقت مورداً نادراً A scarce resource. ولكن العالم الأخير أعلن تحفظه نتيجة لتجاهل ذلك العنصر الاقتصادى الهام ولعدم تناوله بالتحليل المتعمق فى الدراسات الاقتصادية المتخصصة وأوضح مثالاً على ذلك التجاهل الخاطئ بأنه لم يؤخذ في الاعتبار كأحد عوامل الإنتاج التي تتضمنها النظرية الاقتصادية بجانب العوامل التقليدية من أرض وعمل ورأس مال وتنظيم كما أنه لم تتم دراسته كأحد مدخلات أى عملية إنتاجية ولا كأحد مخرجات تلك العملية (هارولد فوجيل، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٥).

هذا، وهناك معلومة طريفة حول تعريف الوقت من المنظور العلمي؛ حيث ينظر العلماء إليه على أنه يمثل الجزء المتحرك للعنصر المكانى والبعد الرابع له (على اعتبار أن هناك ثلاثة أبعاد أخرى ثابتة للعنصر المكانى وهى: العرض والطول والعمق).

والواقع أننا قمنا بمسح واسع للنظريات والدراسات الاقتصادية القديم منها والحديث، وقد تأكدت لنا تلك الحقيقة. وقد لوحظ أن الوقت يمكن أن تتضمنه بعض من تلك النظريات أو الدراسات، ولكن باعتباره أحد المعطيات as a given ، أو يستخدم كعامل مساعد فى عمليات التصنيف والتحليل والقياس إلى آخره من الاستخدامات التى

لا تجعل من الوقت محوراً رئيسياً لدراسات اقتصادية قائمة عليه بالتخصيص، ولا ركناً من أركان أى نظرية اقتصادية متخصصة. ومن أكثر الأمثلة وضوحاً على ذلك نظريتا العرض والطلب. فنظرية الطلب ـ على سبيل المثال ـ تحدد مجموعة من المتغيرات المستقلة التى تؤثر على الكمية المطلوبة من السلعة وهى أسعار السلع المكملة، وأسعار السلع البديلة وأذواق المستهلكين ودخولهم، ولم تأخذ عنصر الوقت فى الاعتبار ضمن تلك المتغيرات المستقلة برغم أهميته فى ذلك الصدد ولكنها اعتبرته فاصلاً تمييزياً بين تغير الكمية المطلوبة (فى الأجل القصير)، وتغير الطلب (فى الأجل الطويل). مع أن الوقت يمكن أن يلعب دوره اللحظى فى التأثير على الكمية المطلوبة من سلعة ما. فمثلاً الكمية المطلوبة من فاكهة الشتاء تزيد وقت الشتاء (لأنه الوقت الطبيعي لزراعتها) وتقل وقت الصيف (تخوفاً من الآثار الصحية الضارة لها لاستخدام كيماويات وهرمونات ضارة لزراعتها فى غير أوانها). وكذلك فالكمية المطلوبة من الأدوات المدرسية تزيد في وقت الدراسة وتبلغ ذروتها وقت الامتحانات وتتدنى فى وقت الأجازات الدراسية خاصة الطويلة منها.

٣/١: التصنيف الزمنى للوقت: من التصنيفات الشائع استخدامها ومعرفتها لدى كل البشر فيما يتعلق بعنصر الوقت الذى اتضح لنا سابقاً أنه يمثل المكون الأساسي للزمان ـ تلك التى تقوم على تصنيف أساسى للعام وتقسيمه إلى اثني عشر شهراً ـ بحيث كلما انقضى

آخر تلك الأشهر الاثنى عشر، يكون ذلك إعلاناً ودلالة على انقضاء عام منصرف وإضافته إلى رصيد عدد السنوات التى تمر مرورها من زمن تاريخى معين، وبدأ مولد عام جديد ينتظر انتهاء عمره فى آخر شهوره الاثنى عشر لينضم إلى ما قبله من رصيد وهكذا. ومن الملاحظ أن تلك الصورة تنطبق على كل جهات العالم برغم ما يكتنفها من تنوعات شديدة فى اللغة وفى الثقافات وفى العادات والتقاليد ودرجات التقدم أو التخلف إلى آخره مما يصعب عده وحصره فى ذلك المقام. إلا أن مثل تلك الاختلافات، قد لعبت ـ فى الواقع ـ دوراً هاماً في تنوع (مسميات) التقسيم السنوى للأشهر الاثنى عشر، ذات العدد الثابت فى جميع الأحوال. والتي تحتفظ دوماً بهيئتها الأساسية كعدد إجمالي لأشهر يتم تواترها كل عام بنفس الترتيب، وبحيث يبلغ متوسط عدد أيام الشهر الواحد (الممثل لوحدة تكوين العام) ثلاثين يوماً. يزيد يوماً في بعض أشهر أحد التصنيفات، أو يقل يوماً فى تصنيف آخر لتلك الأشهر، وكمثال على ذلك نجد أن هناك (التاريخ الهجرى) الذى يقوم على بداية التصنيف السنوى منذ حدوث هجرة النبى ﷺ مع أصحابه من مكة إلى المدينة، والشهر من أشهر العام الهجرى يبلغ إما ٣٠ يوماً أو ٢٩ يوماً، وكذلك فهناك (التاريخ الميلادى) الذي يقوم على بداية التصنيف السنوى من وقت ميلاد المسيح عليه السلام وهنا تبلغ أيام الشهر ٣١ يوماً أو ٣٠ يوماً، وفى حالة شهر فبراير فقط يحدث اختلاف يخرج بنا من قاعدة التصنيف اليومى فتارة يكون ٢٨ يوماً وأخرى يصبح ٢٩ يوماً، وهناك أيضاً تصنيفات

أخرى مثل الأشهر القمرية وغيرها. ولكننا لا نريد الاستفاضة فيما يعرضنا للخروج عن محور الاهتمام الأساسي المتعلق بالجانب الاقتصادى.

غير أن هناك معلومة بالغة الأهمية، لابد من ذكرها قبل الانتقال إلى موضع جديد من الدراسة وهى أن أساس ذلك التصنيف الزمنى هو من مصدر واحد بإرشاد من الله سبحانه وتعالى وبتوجيه منه سبحانه وهو ما يفسر كيف أن التشابه فى إجرائه برغم تباين القائمين عليه من البشر لم يكن شيئا عفوياً، وإنما هو يحدث بشكل فطرى طبيعى. ونستدل على ذلك بالحديث الشريف الذي يوضح لنا أن الله سبحانه وتعالى يوم خلق السموات والأرض، أنزل التقويم الزمني الذى سوف يتبع في الأرض (بهيئة) معينة لا يمكن للبشر أن يستطيعوا تعديلها أو تغييرها وهي تقوم على أن عدة الشهور اثنا عشر شهراً، جعلها الله سبحانه وتعالى لعباده منذ لحظة اكتمال خلق السموات والأرض، وأعطاها مسميات أشهر السنة الهجرية التي نتعامل بها الآن والتي تسير على ترتيب واحد هو: المحرم، صفر، ربيع الأول، ربيع الثاني، جمادى الأولى، جمادى الثانية، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة. فعن أبي بكر نُفَيع بن الحارث ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض: السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حُرُمٌ، ثلاث متواليات: ذو القعدة، ذو الحجة، والمحرم؛ ورجب مُضَر الذى بين جمادى وشعبان، أى شهر هذا؟ قلنا:

الله ورسوله اعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «أليس ذا الحجة؟» قلنا: بلى. قال: «فأى بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله اعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس البَلْدة؟» قلنا: بلى. قال: «فأى يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله اعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى. قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه» ثم قال: «ألا هل بلغت، ألا هل بلغت؟» قلنا: نعم. قال: «اللهم أشهد» (متفق عليه، رياض الصالحين، جـ١، ٢١٣/١١، ص٧٦٥). ومن المعانى الواجب توضيحها في ذلك الحديث لأهميتها الخاصة أن الله سبحانه وتعالى قد (شرع) الزمان (بهيئة) معينة تتكون من اثنى عشر شهراً منها أربعة أشهر (حرم) أى يحرم فيها القتال وذلك منذ خلق الله سبحانه السموات والأرض. ولكن الناس فى أيام الجاهلية كانوا يغيرون ويبدلون في تلك الأشهر فيحلون الحرام ويحرمون الحلال بجعل الأشهر الحرم في أشهر أخرى، فيحلون الشهر الحرام، ويحرمون الشهر الحلال، ولكن إرادة الله اقتضت أن يستعيد الزمان بدورانه هيئته التي أراد الله أن يكون عليها بحيث عادت الأشهر الحرم لوضعها الطبيعى (رياض الصالحين، جـ١، ص٧٦٥).

وبوجه عام، فإننا يمكن أن نخرج من ذلك الحديث الشريف بمعلومة أخرى بالغة الأهمية وهى أن الأشهر المذكورة فيه لا تمثل فقط التاريخ الهجرى كما يسود الاعتقاد بين الناس، ولكنها أيضا تمثل التصنيف الزمنى السنوى منذ بدء الخليقة، وما عدا ذلك من تأريخات مثل التاريخ الميلادى والقمرى وغيره، فهى تأريخات وضعية ويجب أن لا تعطى أولوية أو شمولية الاستخدام على حساب الأشهر العربية التى تتمتع بقدسية معينة طالما ثبت لنا أنها إلهية المصدر.

ولقد سخر الله سبحانه وتعالى للإنسان كلاً من الشمس والقمر ليكونا وسيلتين للتصنيف الزمني العام والدقيق، حيث تعرف الأيام بالشمس وتعاقب شروقها وغروبها؛ بينما يمكن أن تعرف الشهور والأعوام بسير القمر وتطور حجمه وشكله من بدر كامل الاستداره إلى هلال متناقص الحجم، وذلك ما أوضحه الله سبحانه وتعالى للبشر وأرشدهم إليه في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ (يونس: جزء من الآية٥).

هذا، ويعتبر (تعاقب الليل والنهار) من العوامل الأخرى التى تساعد على التصنيف الزمنى المذكور؛ حيث إن ذلك التعاقب يحدث بشكل بالغ الدقة والانتظام بدون حدوث أى تداخل بينها بقدرة الله وبعلمه العظيم، وهناك كثير من الآيات الكريمة التى يمكن أن يستدل منها على تلك الحقيقة بالغة الوضوح مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَافِ

اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٦)؛ وقوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾ (النور: ٤٤). وفي جزء تال يتعلق بالعبادات وكيفية الاستعانة بها كوسيلة لتنظيم وقت الإنسان، سيتم عرض حديث نبوي شريف يتضمن مثالاً آخر ولكن على كيفية التصنيف الزمني لليوم الواحد من خلال تتبع سير الشمس؛ وتعاقب الليل بعد النهار.

أما عن أيام الأسبوع السبعة، فهي أيضا إلهية التحديد والمصدر، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ (الأعراف: جزء من الآية ٥٤)، «يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا» يعني أن الله سبحانه وتعالى يذهب ظلام هذا بضياء هذا، وضياء هذا بظلام هذا، وكل من الليل والنهار يطلب الآخر حثيثاً أي سريعاً لا يتأخر عنه. (ابن كثير، مج٢، جـ٣، ص٢٦١)، وقد جاء في تفسير ابن كثير لتلك الآية بأن الأيام الستة التي خلق الله سبحانه وتعالى فيها سمواته وأرضه هي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، وفيها اجتمع الخلق كله، أما عن يوم السبت فلم يقع فيه خلق لأنه اليوم السابع ولذلك سمي بذلك الاسم حيث أنه يعني (القطع). وفي حديث شريف رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٢٧/٢) فقد قال: حدثنا حجاج حدثنا ابن جريج أخبرني

إسماعيل بن أمية عن أيوب ابن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل» (ابن كثير، مج٢، جـ٣، ص٢٦١).

هذا، وقد اتضح أن الساعة هي الوحدة الزمنية الأساسية التي يمكن تقسيم الوقت اليومي باستخدامها ويمكن أن نستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ (يونس: جزء من الآية٤٥)، وكذلك يتأكد ذلك من قوله تعالى: ﴿مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ (الاحقاف: جزء من الآية٣٥). غير أنه من المفارقات الجديرة بالذكر والتنويه أن تلك الوحدة الزمنية التي أرشد الله سبحانه وتعالى خلقه من البشر إليها لكي يستخدمونها كوحدة زمنية لتصنيف اليوم وتحديد مدى طوله بشكل دقيق ومنتظم، هي ذاتها التي تستخدم للإشارة إلى يوم القيامة والبعث حيث يقول الله تعالى في إشارة إلى الساعة بكلا المعنيين معاً في ذات الآية: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم: جزء من الآية٥٥). وما تجدر ملاحظته أن حرفين هما اللذين يمكن أن يفرقا بين معنيين ذات الكلمة، فإذا كانت الكلمة (ساعة)

فهى تعنى الوحدة الزمنية اليومية، أما إذا بدأت بالألف واللام وذكرت (الساعة) فهى تصبح معرفة وتشير في تلك الحالة إلى يوم القيامة العظيم.. وشتان ما بين هذا المعنى وذاك!.

وإن كانت الدنيا قد قامت مؤخراً ولم تقعد عندما تم اكتشاف «الفيمتو ثانية» التى تعبر عن جزء جديد متناهى في الصغر يمكن أن يستخدم للقياس الزمني بالغ الدقة؛ فإن القرآن أوضح ذلك التصنيف الزمني الأكثر دقة وتجزءاً لليوم من قبل؛ وإن لم يكن بالطبع قد أورد ذات المسمى البشرى له، كما أوضح القرآن فترات زمنية أخرى متفاوتة الطول يمكن أن تستخدم في التصنيف الوقتي لليوم الواحد. فبالإضافة إلى الساعة، فهناك أيضا فترة زمنية أكثر طولاً وهى الفترة ما بين الظهر وإلى غروب الشمس (عشية)؛ وتلك التي بين طلوع الشمس إلى نصف النهار (الضحى)، حيث نجد ذلك في الآية الكريمة: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (النازعات:٤٦). وهذان التعبيران (عشية) و (ضحى) ويمكن أن يستخدما ـ وفقاً للتوجيه القرآنى ـ للدلالة على القصر النسبي للوقت المستغرق في إنجاز شئ ما حيث تعنى تلك الآية الكريمة أن البشر يوم القيامة يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى أنهم يعتبرونها كأنها كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم (ابن كثير، مج٤، جـ٨، ص١٧٩).

أما التقسيم الزمنى المختلف طوال اليوم والذى يصل إلى أدنى جزء منه، فيمكن استنباطه من قصة العروض التى تم تقديمها لسليمان

عليه السلام فيما يتعلق بشأن استحضار بلقيس وعرشها الذي رغب سليمان في استحضاره بأقصى سرعة ممكنة. وهنا تقول الآيات الكريمة: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۞ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۞ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٣٨-٤٠).

ومن الآيات يتضح لنا أن الفترة الزمنية التى كانت معروضة على سليمان عليه السلام لاستحضار العرش كانت **قبل قيام سليمان من مجلسه** ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ (النمل: ٣٩) وقد عرضها مارد من الجن آخذاً في الاعتبار يوم العمل الذي كان يقوم به سليمان والذى كان يمتد عادة من أول النهار إلى زوال الشمس حيث كان سليمان عليه السلام يقوم فى خلاله بالجلوس للناس للقضاء وللحكومات وللطعام. ولقد وعد ذلك المارد الجنى أن يستحضر بلقيس وعرشها لسليمان عليه السلام قبل انتهاء يوم عمله المعتاد. أما الفترة الزمنية بالغة القصر، فقد عرضها أحد الصالحين المؤمنين العلماء الذين ذكر أنه كان يعرف اسم الله الأعظم والذى ذكر محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان أن اسمه كان «آصف بن برخياء». وبرغم اختلاف تحديد اسم وكنية ذلك الشخص البشرى، إلا أن الثابت هو الفترة الزمنية التي

عرضها وقام بتنفيذ المهمة بالفعل من خلالها وهى الفترة ما بين رفع البصر ومده إلى أقصى نقطة يستطيعها ثم قبل أن ينخفض البصر تكون الفترة الزمنية متناهية الصغر قد انقضت، وتكون المهمة المستهدفة قد تم إنجازها. وذلك يتضح من الآية الكريمة: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (النمل: جزء من آية ٤٠).

ويمكن التأكيد على أن الوقت المستغرق فى **طرف العين** ـ المشار إليه توآ ـ هو أقل وحدة زمنية وذلك بالاستعانة بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ (النحل: جزء من الآية٧٧) حيث يعنى بلمح البصر هنا طرف العين (ابن كثير، مج٢، جـ٤، ص٢٨٧)، كذلك تتأكد ذات الحقيقة بذات اللفظ والمعنى من الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (القمر: ٥٠).

وهنا يأتى دور العلم التجريبى ليوضح لنا ما إذا كان مصطلح الفيمتو ثانية هو ذلك المعادل للمح البصر أو لطرف العين، أم أنه مازالت هناك المزيد من الذرات الزمنية التي يجب على العلماء التجريبين توضيحها استرشادا بتلك الآيات الكريمة ذات الدلالة القاطعة.

وعلى أية حال، فإن ما تم ذكره توآ وعرضه مسبقآ من تصنيف للزمن، لا يخرج عن نطاق محور اهتمامنا الذى يدور حول المجال الاقتصادى، بل إنه يشكل قاعدة أساسية راسخة يمكن أن يسترشد بها

في تكوين كثير من القواعد والفروض الاقتصادية ـ خاصة تلك المتعلقة بالاقتصاد الحركي (الديناميكي) الذي يقوم تحليله كله على أساس أخذ عنصر الزمن في الاعتبار. وسوف تتضح مدى أهمية ذلك الجزء من خلال ما سوف يتم عرضه من الأجزاء التالي عرضها تباعاً استكمالاً لتوضيح الصورة المستهدفة من تلك الدراسة وهي كيفية تعظيم المنفعة الزمنية.

١/٤: الترتيب المتتابع Order يمكن اعتباره من متعلقات الوقت:

يسود الاعتقاد بأن الوقت يتمثل فقط بمدى طول (أو قصر) فترة زمنية (أو لحظية) معينة يمكن تقديرها بوحدات قياسية مختلفة أصغرها الفيمتو ثانية (في المنظور الوضعي للعلم) أو لمح البصر (في المنظور الشرعي) وأكبر عام يتكون بدوه من اثني عشر شهراً. إلا أننا نعتقد أن هناك عنصراً يجدر إدخاله كأحد أجزاء الوقت ومكوناته على أن يتم ذلك على محور زمني مختلف يتقاطع في اتجاه رأسي مع المحور الزمني الأصلي الذي يتضمن الوحدات الزمنية المعتاد على استخدامها وذلك كما يتضح من الشكل رقم (١).

الشكل (١)

أهم مكونات عنصر الوقت ومتعلقاته -

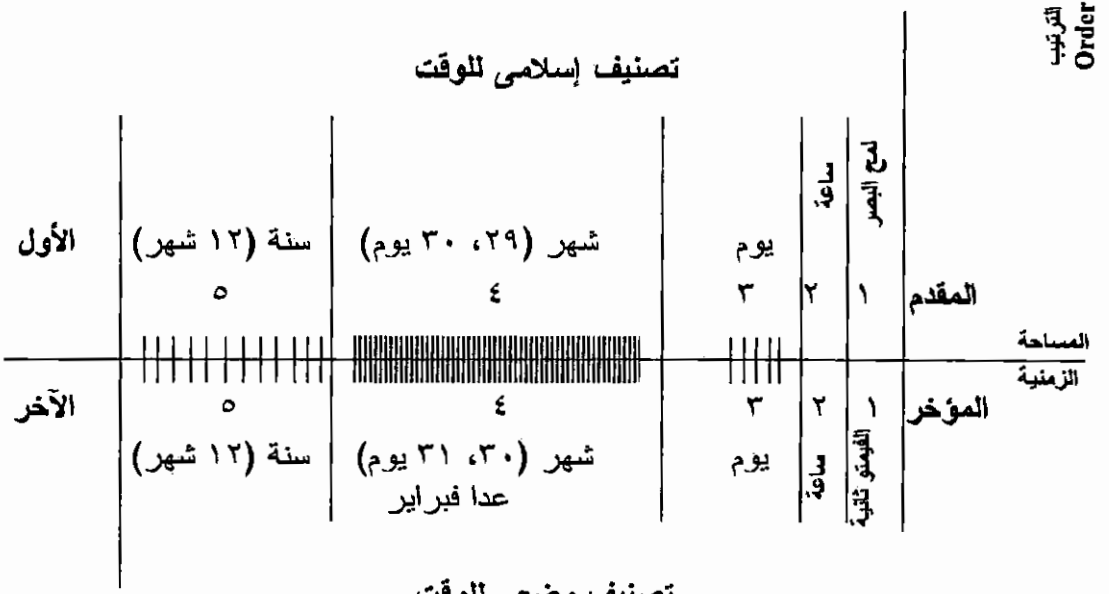

وفى الشكل السابق رقم (١) يوضح على الخط الأفقى التقسيم الزمنى وفقاً للعرض السابق حيث تمثل الخانة رقم (١) أصغر وحدة زمنية وهى طرف العين (أو لمح البصر)، وتمثل الخانة رقم (٢) ساعة. أما الخانة رقم (٣) فتمثل اليوم الذي ينقسم بدوره إلى وقت (الفجر) كبداية لأول اليوم، ثم (النهار) الذى يمتد منذ شروق الشمس حتى لحظة غروبها، ثم (بداية الليل) الذى يتمثل بالمساحة الزمنية الشرعية المتاحة لصلاة فريضة العشاء حاضراً وهي تبدأ بدورها منذ الآذان لصلاة العشاء حتى انتهاء النصف الأول من الليل الذى عادة ما يقدر بالساعة الثانية عشرة بالمقاييس العلمية المعتادة. وبعد ذلك توجد فترة (ثلثى الليل الأخيرين) حيث يستحب أداء صلاة القيام خلالها. ولقد تم تصنيفها إلى جزئين منفصلين لأن الثلث الأخير أفضل عند الله للتعبد من الثلث السابق له، ولقد تعمدنا ترك مسافة بدون ترقيم أو تصنيف للدلالة على (نسبية) طول الوقت ليلاً عنه بالنهار خاصة إذا ما تم قضائه في العمل والتعبد حتى إن انخفضت الوحدات الزمنية المكونة له. فما من شك فى أن المعاناة من مرض أو أرق أو أحزان تكون أثقل وأشد وطأة خلال الليل عنها فى فترة النهار، وذلك يجعل الوقت يمر بشكل متباطئ وصعب مقارنة بحدوث ذات الأمور في أثناء النهار. كما أن التعبد أثناء الليل برغم حلاوته وما يتصف به من صفاء وإخلاص أكثر، فإنه عادة ما يكون أشد وطأة وأكثر مشقة لأنه عادة ما يمثل وقت نوم وراحة واسترخاء للغالبية الأعم من البشر.

وفى القسم الرابع من الأجزاء المكونة للوقت نجد مساحة زمنية أكبر تتمثل في الشهر الذي أوضحنا سابقاً أنه بعادة ما يتكون من ثلاثين أو تسع وعشرين يوماً (في الشهور العربية) أو ثلاثين أو واحدا وثلاثين يوماً بخلاف شهر فبراير (فى الشهور الميلادية)، ثم ننتهى بالمكون الأخير لوحدات الزمن والأكثر طولاً وهو العام الكامل الذى أراد الله سبحانه وتعالى له أن يتكون بدوره من اثنتى عشرة شهراً كما سبق التوضيح.

أما على المحور الرأسى، فقد استلهمنا مكوناً آخر يمكن أن يتعلق بالوقت ويتداخل معه فى ذات التأثيرات والتوجهات، وهو الترتيب المتتابع Order وقد تم استلهام ذلك المكون من أسماء الله الحسنى التى يمكن أن نستعين بها في ذلك التصنيف وهى **المقدم والمؤخر**: **والأول والآخر**. وحتى تتضح أهمية ذلك التصنيف الفرعى للوقت يجدر بنا أن نبدأ أولاً بالتعرف على تلك الصفات المقدسة لله عز وجل. (فالمقدّم) يعنى الذي يقدّم بعض الأشياء على بعض في الوجود، وذلك لتقديم الأسباب على مسبباتها.. فيقدّم سبحانه لعباده ما يحتاجون اليه. على الوجه الذي يحقق صلاح أمورهم، كما تقتضيه حكمته الأزلية. ومن أشكال ذلك التقديم: تقديم الزمان على الزمان، والمكان على المكان. والحركة على الحركة، وتقديم من شاء من عباده بالعلم والطاعة والتقوى والإنابة والشرف والاستجابة ﴿**وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾ (الأنعام: جزء من الآية ١٦٥).

أما عن المعنى المستفاد من تلك الصفة المقدسة بالنسبة للمرء، فهو أن **يقدم الأهم فالمهم من شئون دنياه، وألا يؤخر شيئاً من أمور أخراه** (عبد المقصود سالم، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، صـ٩٧، ٩٨). وترتيباً على ذلك، فإنه يجب تصنيف كل وحدة زمنية وفقاً لأوليات أهمية كل لحظة منها فنقول مثلاً أن الساعة الأولى التي تشمل الفجر هي أفضل ساعات الصباح كبداية للصلاة وللذكر ولتلاوة القرآن ﴿**إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً**﴾ (الاسراء: جزء من الآية٧٨). ولكن ذات الساعة في شهر رمضان تكون أكثر تفضيلاً نتيجة لأنه شهر مفضل عند الله من بين شهور العام لأنه ﴿**الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾ (البقرة: جزء من الآية١٨٥). ومع هذا، فقد فضل الله سبحانه وتعالى الوقت الذى يتزامن مع ليلة القدر ومنحه أولوية أولى في الأهمية على كثير من الأزمنة والأوقات الأخرى. وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾ (القدر: ٣-٥).

وعلى الجانب الآخر من التقديم، هناك ترتيب زمني مقابل يمكن استلهامه من صفة الله تعالى (المؤخر). وتلك الصفة المقدسة تعنى **الذى يؤخر إيجاد بعض الأشياء عن بعض بمشيئته**، ويؤخر من شاء من عباده فى الشرف والرتبة، والقرب والحب، والتقوى والطاعة، والعلم والهداية. (المرجع السابق، صـ٩٨). وإن كان الاعتقاد السائد دائما

بأن الآخر يعتبر في وضع أسوأ من سابقه في الترتيب فإن المنظور الشرعي يوضح أن ذلك ليس صحيحاً بالضرورة فأحياناً ما يحدث العكس، وخير مثال على ذلك أن الآخرة خير من الأولى. وبالتالي فإن الترتيب الزمني لأمر ما لا يعنى أن آخر وحدة زمنية تنطوى على أسوأ وضع أو حال وأن أول وحدة تتميز على غيرها. ويبدو ذلك جلياً في عمليات التخطيط والتجارب العلمية والإنجازات. فعادة ما تمثل المراحل الزمنية الأخيرة أفضل فترات زمنية يشهد من خلالها النتائج النهائية لمجهودات تم بذلها تباعاً في فترات سابقة. وتصبح اللحظات الأخيرة هي أفضل لحظات زمنية على الإطلاق خاصة إذا ما كنا نتحدث عن تجارب ناجحة، فدائما ما نقول أنها (انتهت) بالنجاح - ولكن إذا ذكر أن إحدى التجارب (بدأت) بنجاح. فعادة ما يتبادر الى الأذهان القول المأثور (العبرة بالنهاية)؛ وذلك ما يتأكد في الحديث الشريف: «لا تعجبوا بعمل عامل، حتى تنظروا بم يختم له» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٧٣٦٦).

والصفة الإلهية الثالثة التى يمكن أن ترشدنا إلى بعض المدلولات الزمنية هى (الأول) وهى تعنى **الأول بلا ابتداء**، والموجود بذاته قبل وجود مخلوقاته. وكان (أولا) لأنه كان موجوداً ولا شئ معه (المرجع السابق، ص٩٩). ويقال أيضا في توضيح تلك الصفة الإلهية المقدسة. أن تلك الأولوية لا تتعلق بالزمان ولا بالمكان ولا بأي شئ في حدود العقل أو محاط بالعلم التقليدى المعروف (حسن الجميل.

١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص١٨٧). ومع هذا، فإننا يمكن أن نستلهم من تلك الصفة الإلهية المقدسة مقياساً ترتيبياً للزمن يمكن استخدامه بلغة البشر العلمية الدارجة وهى أن لكل مساحة زمنية معينة توجد نقطة بداية مطلقة لا تسبقها فى ذلك الموضع الأول نقطة زمنية أو وحدة زمنية أخرى فمثلاً إذا ذكرنا الساعة تتكون من ٦٠ دقيقة، فهناك الدقيقة الأولى التي لا تسبقها أى دقيقة أخرى، فإن سبقتها دقيقة، فتكون فى الواقع ممثلة للدقيقة الأخيرة من الساعة السابقة على الساعة محل الذكر.

وعلى المقابل، فهناك صفة (الآخر) وهى **تعنى الباقى وحده بلا انتهاء**، وهو سبحانه يُفنى خَلْقَه ويبقى بعد فنائهم ثم يبعثهم بعد ذلك «ليجزى الذين أساءوا بما عملوا، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى» (عبد المقصود سالم، مرجع سبق ذكره، ص٩٩). وعلى النحو السابق، فيمكن استلهام درس مستفاد حول التقسيم أو التصنيف الترتيبى للزمن أو للوقت حيث لابد لكل مساحة زمنية من وجود لحظة أو وحدة نهائية تنتهى بها تلك المساحة المعنية مثل الدقيقة الستون من الساعة، والثانية الستون من الدقيقة. فإذا ما ذكرت وحدة زمنية إضافية تلى الوحدة الزمنية الأخيرة، فإنها تعتبر نقطة بداية زمنية لمساحة زمنية جديدة تالية مباشرة للمساحة الزمنية محل الاعتبار.

وما من شك فى أن مثل ذلك التصنيف الترتيبى للزمن يمكن أن تكون له فوائده المتعددة خاصة في مجالات التخطيط والتقييم والمتابعة

والتنفيذ؛ ذلك الذى يمكن أن نتعرف على المزيد التوضيحي له من خلال العرض المتقدم للدراسة الجارية.

وبعد ذلك التوضيح الموجز لمفهوم الوقت وبعض الأبعاد المتعلقة به، ننتقل لاستكمال الصورة المستهدفة له بعرض أهم ما ورد فى الدراسات الإنسانية والاجتماعية عن ذلك المفهوم ولتحديد المنظور الاقتصادى الوضعى له على وجه الخصوص.